يتمثلان بهذا المثل القبيح « آمني ببقاء الماء في الغربال . ولا تؤمني بثبات الرجال » ومنشأ هذا المثل وما يشابهه من الامثال التباعد الذي كان بين الجنسين قديماً والحاجز الحصين الذي كانت الاخلاق الشرقية قد رفعته بين الرجال والنساء . مع ان سوء الظن أبعد عن الفطنة منه عن الجهل فالسيدة التي تريد الراحة وهدو البال عليها ان تأول التأويل الحسن نفس الاعمال التي يكون فيها ما يدفع للريب لاول وهلة فالرجل يحاذر لوم زوجته قبل تكراره ومتى اعتاده فلا يعود يؤثر فيه التأثير المطلوب بل قد تدفعه السآمة منه والضجر الى ان يستخفه ولو مرة وأعوذ بالله من شر سوء القصد الذي يعقب سوء الظن

﴿ الطب والطبيب ﴾

(في اوهام العوام)

يتوهم عامة الناس ان الطب مهنة هينة بسيطة لدرجة ان كل واحد منهم يتصور انه يعرف شيئاً منه ويفهم الكثير من قضاياه فيتكلم فيه بجراءة العارف الخبير ولا يتأخر عن ابداء آرائه ونصائحه الطبية كلما سنحت له الفرصة جاهلا ان الطب علم او بالحرى مجموعة علوم عويصة صعبة التحصيل لا تنال الا بالدرس العميق مع المزاولة الطويلة والاختبار البعيد

حكي ان احد الملوك سأل اهل بلاده عن المهنة الاكثر انتشاراً في بلاده فقال له نديمه انها صنعة الطب فأنكر الحضور ذلك القول وطلب الملك من نديمه البرهان فوعده أن يأتيه به في الغد وفي اليوم الثاني جاء النديم البلاط مع الراس ضامداً خده كما يفعل المصاب بألم الاسنان

فأخذ كل من قابله ان يوصف له وصفة لتسكين المه الى ان دخل على الملك الذي عند ما رآه رثي لحاله واخذ ان يرشده الى علاج زعم انه يستغني به متى استعمله عن كلابة طبيب الاسنان فلم يتم الملك كلامه الا والقى النديم عصابته وخماره وقال له : « اشكر لجلالة مولاي اهتمامه بي فأنا لم اتظاهر بالالم الا لابرهن لجلالتك ان جميع اهل البلاط حتى مولاي الملك هم من الاطباء »

مع ان الطبيب لم يتحصل على فنه الا بعد تضحية اجمل سني حياته في المدارس والدرس المنهك وغرف التشريح ومستشفيات المرضى باحثاً وراء طرق المعالجة ومستكشفاً وسائل الشفاء كل ذلك لينفع وينتفع ويسر بعمله ونتائجه فكم يكبر حزنه وكدره عظيما متى راى اعراض الناس عنه واقبالهم على وصفات العجائز والدخلاء المتطفلين على الطب تطاولا وادعاء

ولقد يصعب على الطبيب مزاولة مهنته كما تقتضيه ذمته ومعارفه لانه كثيراً مايضطر لمقاومة تصورات تحول دون اتمام قصده فتتعبه أكثر مما يتعبه المرض الذي انتدب الى معالجته وما ذلك الا لان العليل يعتقد باوهام فارغة وخرافات ماأنزل الله بها من سلطان يتصورها انها الطب الحقيقي ويحاول حمل طبيبه على الاعتقاد بها مثله فاذا كان الطبيب حر الافكار وسخر بتلك الاوهام نفر منه العليل ونفر غيره أيضاً

أما أسباب ذلك فهي ميل العامة الى التصديق بالخوارق والعجائب والتسليم بالخرافات التي ينقلها السذج عن المشعوذين المحتالين والاعتقاد بالطب اعتقاداً لاسبيل معه عندهم الى التسليم بامكان تقصيره عن الشفاء في بعض الاحيان لانهم يحتمون على الطب شفاء كل الامراض بسرعة ولو

كانت عضالة أو مزمنة فهم يطلبون مافوق الطبيعة ويريدون مايبعد عن الامكان ومثل الذي يطلب شفاء الامراض شفاء عاجلاً مثل من يطلب ثمراً من شجرة في غير أوان طرحها قبل انتهاء الاسبوع فيكثر من سقيها وتسبيخها فيضر فيها دون ان يحصل على مطلوبه لان الشجرة لايمكنها ان تتعدى سيرها الطبيعي مهما اشتدت رغبة صاحبها كما ان جسم العليل لاينقه من المرض الا في الوقت الذي حددته طبيعة المرض وأحسن الوسائل لتعجيل الشفاء هي اتباع نصائح الطبيب بدقة وصبر

على ان تأثير الطب وبالتالي مقدرة الطبيب هما محدودان اكثر مما يظنه العوام لاول وهلة واليك ماقاله أحد الكتبة ونعم ماقال « الطبيب يشفي أحياناً ويخفف الاوجاع غالباً ويسلي دائما »

﴿ ولدك يكون بحسب معاملتك له ﴾

قيل ان أحد الاباء أخذ ولداً له الى احدى المدارس الابتدائية وأخبر الرئيس ان ذلك الولد من أقبح خلق الله خلقاً وأقلهم طاعة وأغلظهم احساساً وانه انما جاء به الى المدرسة تخلصاً من شره . فالتفت الرئيس الى ذلك الولد فرآه ذليلا قد صغرت نفسه في عينه فأخذته عليه الشفقة وعول ان يحسن أخلاقه ويلين طباعه فابقاه في غرفته بعد ذهاب أبيه ثم الهى عنه باشغال أخرى

أما الولد فبقي ملازما للهدو والسكينة بخلاف ماكان يؤمل منه بعدما وصفه أبوه كما أسلفنا حتى ان الرئيس نسي وجوده في غرفته

وبينما كان الرئيس يفتكر في مسألة مهمة خطر له خاطر فوقف بغتة